بين أدب الأطفال العربى وأدب الأطفال العالمى

د. سلامة عبدالمؤمن تعلب

الفصل الأول : الإطار المنهجى للدراسة

مقدمـــة :

يتيح لنا الأدب معرفة الإنسان فى الإنسان كما يقول ديستويفسكى، وعبر هذه المعرفة يبرز لنا الجوهر المشترك للإنسان، عندئذ ننطلق إلى عالم الأخوة التى تجمع الأنا بالآخر.

ولو تأملنا هذا الجوهر لوجدناه لا يتبلور إلا بالتفاعل مع الآخر، من هنا تبرز أهمية الدراسات الأدبية المقارنة التى تقدم علاقاتنا مع الآخر وحوارنا معه، وبذلك باتت تشكل اليوم إحدى صور العلاقات بين الأمم التى تسهم فى حوار الحضارات، ولاشك أن مثل هذا الحوار يعترف بالآخر شريكًا فى بناء الحضارة، لا الآخر المستعمر الذى يبغى إلغاء هويتنا وتدميرنا.

إن هذا القول يعنى الانفتاح على إنجازات الآخرين، فالإبداع ليس حكرًا على أمة بعينها، وإنما ملك الإنسانية جمعاء، لذلك من البديهى أن يكون الإبداع وليد الانفتاح على حضارات أخرى، وعدم العزلة، لأن العزلة تعنى إغراقا فى الذات وابتعادًا عن معطيات العصر، وبالتالى تخلفًا، فأى تطور لابد له من الاطلاع على إنجازات الآخر الذى سبقنا فى مجال العلم كما سبقنا فى مجالات الأدب والدراسات النقدية، فالتعلم ممن سبقنا مرحلة لا بد منها فى البداية، والتعلم شيء والتقليد شيء آخر؛ لأن التعلم خطوة أولى نخطوها نحو التطور والحياة، لكن التقليد خطوة نهائية نخطوها نحو الموت، فأى إبداع أصيل قد يحوى تأثرًا بالآخر لكنه يحتوى فى الوقت نفسه خصوصيته، أى بصمته الخاصة.

من هنا تبرز أهمية الدراسات المقارنة، إذ تتيح لنا معرفة ذواتنا والثقة بأنفسنا، ونستطيع أن نستجلى من خلالها الدور الذى قامت به حضارتنا العربية والإسلامية فى بناء الحضارة الإنسانية، فنكتشف أننا لم نكن عالة على الآخر، بل على النقيض كان هذا الآخر عالة علينا، لذلك نستطيع اليوم أن نرى أنفسنا بموضوعية عبر مرآة الدراسات الأدبية المقارنة.

ولعل اقتران مصطلح المقارنة بالأدب يسعف الباحث بأدوات عقلية نقدية، تبرز الجميل والمفيد، كما تبرز الضار القبيح، كما أن استخدام المقارنة يفيد فى تلمس مواطن الإبداع فى الأدب وتلمس مواطن التقليد فيه، أى تفيد فى معرفة كيفية تلقى المؤثرات الأجنبية ومدى

اعتمادنا على الآخر وتقليده حين نبحث فى الصفات المشتركة بيننا وبينه، ومدى اعتمادنا على ذواتنا وتأسيس أدبنا على الابتكار، حين نبحث عن الصفات الذاتية التى كونت أدبنا؛ فيكون تأثيرنا فى الآخر وتأثرنا به تأثرًا إبداعيًا، يفيده، ويستفيد من إنجازاته، ويستطيع تجاوزها بفضل الإبداع، والدراسة الحالية تدور فى فلك هذا المفهوم للأدب المقارن؛ حيث تناقش المحاور التالية :

المحور الأول : التأثير المصرى فى أدب الأطفال العالمى.

المحور الثانى : التأثير العربى المشرقى فى أدب الأطفال العالمى.

المحور الثالث : التأثير الغربى فى أدب الأطفال العربى.

المحور الرابع : دراسة مقارنة لنموذجين : أحدهما عربى، والآخر عالمى.

ويعتبر مجال البحث فى أدب الطفل المقارن مجالاً جديدًا ومفتقرًا إلى الجهود البحثية التى تتناول هذا اللون من أدب الأطفال؛ فلم يهتم الكثيرون من المختصين بهذا الموضوع؛ مما يجعل البحث عن دراسات سابقة أمرًا شاقًا؛ نظرًا لندرتها، وحاجة الباحث إلى أن يربط بين كثير من المتباعدات ليؤلف منها شيئًا مشتركًا يصلح أن يكون غرسًا صالحًا فى مجال أدب الأطفال المقارن، ومن هذه الدراسات التى يمكن أن تؤسس لأدب الأطفال المقارن الدراسات التالية :

١- دراسة عبدالتواب يوسف بعنوان : كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر؛ حيث يعرض لأهم ما يكتب للأطفال فى العالم، وأهم الكتب فى الشرق والغرب، وأهم الأسماء العالمية التى اهتمت بالكتابة للأطفال، وماذا يكتبون؟ وما هى طريقتهم فى الكتابة؟ وما أثر ما يكتبون على الأطفال؟ كل ذلك بغية التعرف على الكلاسيكيات الخالدة من الأدب العالمى، التى ثبتت أقدامها، وقرأها الأطفال جيلاً بعد جيل، ثم الأعمال المعاصرة الناجحة التى لاقت قبولاً من الأطفال القراء، ومن المهتمين بأدب الأطفال دراسة وبحثًا؛ لنعرف أين نضع أقدامنا فى عالم أدب الأطفال اليوم، فى عصر يتميز بالاختلاف زمانًا ومكانًا، عصر السرعة والفيمتوثانية، عصر الغرف المغلقة التى باتت أخبار العالم تتجمع فيها ومن خلالها فى لحظة واحدة، واستعرض الباحث عددًا من كتب الأطفال فى كل من : إفريقيا التى احتلها الإنجليز، إفريقيا التى احتلتها فرنسا، إفريقيا غير المستعمرة.

كما تناول الباحث كتب الأطفال فى كل من :

- آسيا وشبه القارة الهندية، وباكستان، وتركيا، وإيران، وماليزيا، وفيتنام.
- أمريكا اللاتينية، البرازيل، والأرجنتين، وشيلى، وكولمبيا التى أنجبت ماركيز صاحب رواية مائة عام من العزلة.
- كتب الأطفال فى الدول المتقدمة، أمريكا التى تنتج ثلث ما يصدر من كتب الأطفال فى العالم، ونسبة مبيعات هذه الكتب تصل إلى ٤٠٠ مليون دولار سنويًا.
- روسيا، التى تمتلك ٢٢٢ دارًا لنشر كتب الأطفال، وإصدارات تعادل أربعة أضعاف ما يصدر

فى أمريكا، وتسعة أضعاف ما يصدر فى إنجلترا، ويرتبط تاريخ الأدب الروسى للأطفال بأنشطة دار النشر"ميشكايا" التى تأسست بمبادرة من الرائع "مكسيم جوركى" عام١٩٣٣م.

- إنجلترا، التى كانت بدايات كتب الأطفال فيها مبكرة، وترجع إلى العام ١٧٤٤م.

- وفى فرنسا كانت هناك جهود واضحة، ومن أشهر كتابها الذين برزوا فى هذا المجال : بيرو، ولافونتين فى القرن السابع عشر.

- إيطاليا التى كانت بداية أدب الأطفال فيها عام ١٧٧٥م، وكذلك تناول الباحث كتب الأطفال فى كل من أسبانيا، وألمانيا، واليابان، والصين، والمجر.

٢- بحث عايدة عبد العزيز، بعنوان : أدب الأطفال فى فرنسا، حيث توثق لأدب الأطفال فى فرنسا، وأهم الكتاب البارزين، واتجاهاتهم، والتأثيرات التى أسهمت فى هذا اللون من الأدب، وأهمها التأثيرات العربية والمشرقية.

٣- بحث مها العنانى، بعنوان : تطور أدب الأطفال فى إيران، حيث ترجح أن للفرس الفضل فى ظهور أكبر مرجعين تراثيين أثرًا فى أدب الأطفال، وهما : ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والتى تميل الدراسات إلى أن يكون أصلها فارسى بحكم الأسماء الشهيرة بها(شهرزاد، وشهريار) وكذلك الترجمة التى وصلت إلى العربية لكتاب كليلة ودمنة؛ حيث ترجمت عن النسخة الفارسية التى كانت ترجمة لما كتبه الفيلسوف الهندى بيدبا.

٤- وهناك عدة دراسات معروفة لكل من : على الحديدى، وأنس داود، وأحمد سويلم.

ومن خلال استناد الباحث لمفهوم الأدب المقارن، واستقرائه للدراسات السابقة؛ تبدو حاجة ميدان أدب الأطفال إلى الدراسات المقارنة التى تبرز الجهود المصرية والعربية فى مجال أدب الأطفال، وعلاقة التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة، وماذا قدم الشرق للغرب؟ وماذا أخذ عنه؟ وما أهم الشواهد على علاقة التأثير والتأثر، والأخذ والعطاء فى أدب الأطفال؛ وانطلاقًا من هذه الأرضية المشتركة بين الآداب تتبلور مشكلة الدراسة الحالية.

مشكلة الدراسة :

تتمثل مشكلة الدراسة الحالية فى الإجابة عن السؤال الرئيس التالى : ما طبيعة العلاقة بين أدب الأطفال العربى، وأدب الأطفال فى الغرب؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية :

ما أثر الأدب المصرى القديم فى أدب الأطفال العالمى؟

ما أثر الأدب العربى والمشرقى فى أدب الأطفال العالمى؟

ما أثر أدب الأطفال الغربى فى أدب الأطفال العربى؟

ما أهمية الدراسة التطبيقية فى التأريخ لأدب الأطفال؟

أهداف الدراسة :

١- تعرف الإسهامات المصرية التى أثرت فى أدب الأطفال العالمى.
٢- تعرف أثر أدب الأطفال العربى والمشرقى فى أدب الأطفال العالمى.
٣- تعرف تأثير الأدب الغربى على أدب الأطفال فى العالم العربى.
٤- تقديم دراسة مقارنة لنماذج من الأدب العربى والعالمى.

أهمية الدراسة :

تقدم الدراسة للمهتمين بأدب الأطفال بعض الحقائق الهامة التى تفيد فى التأصيل لأدب الأطفال المقارن، وتفتح الباب أمام التفكير فى إجراء مزيد من البحوث والدراسات فى هذا المجال البكر فى الدراسات الأدبية والنقدية.

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفى، الذى يهتم بالدراسة المسحية للظاهرة موضوع الدراسة، كما يعتمد المنهج التحليلى فى المقارنة بين النصوص من خلال تحليل المضمون.

أدوات الدراسة :

سيعتمد الباحث على أداة تحليل المضمون عند المقارنة بين النصوص موضوع الدراسة.

حدود الدراسة :

بعض نماذج أدب الأطفال فى مصر والعالم العربى شعرًا ونثرًا، ونماذج من أدب الأطفال العالمى شعرًا ونثرًا، تتمثل فى نص شعرى لمحمد عثمان جلال، ونص شعرى لأحمد شوقى من مصر؛ يمثل كل نص حقبة زمنية معينة، وتأثيرات ثقافية متعددة، ثم قصة حى بن يقظان لابن طفيل الأندلسى، وقصة روبنسون كروزو للإنجليزى "ديفو"

مصطلحات الدراسة :

الأدب المقارن : "هو دراسة الأدب دراسة منهجية؛ تلاحظ الصيغ المشتركة بين الآداب المختلفة، وترصد التشابهات والاختلافات بينها، ومواضع التأثير والتأثر فيما بينها"
(عبدالتواب يوسف، ١٩٨٥م، ٧٨)

إجراءات الدراسة :

للإجابة عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة ونصه : ما أثر الأدب المصرى القديم فى أدب الأطفال العالمى؟

قام الباحث بما يلى :

١- الاطلاع على البحوث والأدبيات السابقة التى اهتمت بأدب الأطفال؛ لتعرف الإسهامات المصرية فى أدب الأطفال.

٢- تخصيص فصل كامل من فصول الدراسة يبين الإسهامات المصرية فى مجال أدب الأطفال منذ العصر الفرعونى وحتى الآن.
٣- محاولة التوصل من خلال العرض الوصفى التحليلى إلى دور المصريين القدماء فى الأدب المكتوب والأدب المصور للأطفال، وتأثيره على الآداب العالمية التى أفادت منه.

للإجابة عن السؤال الثانى من أسئلة الدراسة ونصه : ما أثر الأدب العربى والمشرقى فى أدب الأطفال العالمى؟

قام الباحث بما يلى :

١- استعراض الجهود العربية فى مصر والعالم العربى، وكذلك الإسهامات المشرقية للهنود والفرس، فى مجال أدب الأطفال.
٢- تخصيص فصل كامل من فصول الدراسة؛ لبيان الإسهامات العربية والمشرقية فى أدب الأطفال العالمى، وبخاصة تأثير كتابى ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وحى بن يقظان، وغيرها.

للإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة الدراسة ونصه : ما أثر أدب الأطفال الغربى فى أدب الأطفال العربى؟

قام الباحث بما يلى :

١-الاطلاع على الدراسات والأدبيات التى تناولت مجال أدب الأطفال العالمى، لبيان الإسهامات الغربية فى أدب الأطفال، والتأثيرات الغربية فى أدب الأطفال فى العالم العربى.
٢-تخصيص فصل كامل من فصول الدراسة؛ يوضح التأثير الغربى فى أدب الأطفال العربى عمومًا، والمصرى على وجه الخصوص.

للإجابة عن السؤال الرابع من أسئلة الدراسة ونصه : ما أهمية الدراسة التطبيقية المقارنة فى التأريخ لأدب الأطفال المقارن؟

قام الباحث بما يلى :

١-تقديم نموذجين تطبيقيين للمقارنة، أحدهما مصرى خالص؛ يعقد مقارنة بين محمد عثمان جلال وأحمد شوقى، والآخر يقارن بين قصة حى بن يقظان لابن طفيل، وروبنسون كروزو لديفو.
٢-بيان أهمية الدراسة المقارنة التى تهتم بالعامل التاريخى، فى التأصيل لأدب الأطفال المقارن، وتعرف اتجاه التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة.

الفصل الثانى
الإسهامات المصرية وأثرها فى أدب الأطفال العالمى

تمهيد :

يشكل البحث فى مجال أدب الأطفال أهمية خاصة؛ وتتمثل هذه الأهمية فيما يلى :

- يقدم فهماً- للأدب- أفضل، وأكثر شمولاً، وأقدر على تجاوز جزئية أدبية منفصلة، أو عدة جزئيات معزولة.
- ويميز ما هو محلى وما هو إِنسانى مشترك.
- ويحدد الصلات والمتشابهات بين الآداب المختلفة وبين الأدب وحقول المعرفة الأخرى.
- ويسهم فى تخليص الأقوام من النزعة النرجسية المسيطرة فى مجال الآداب القومية المختلفة.
- ويقدم للنقد الأدبى ودارسى الأدب فرصة ممتازة؛ لتوسيع آفاق معرفتهم، وتوثيق أحكامهم حتى الجمالية منها؛ لأن المقارنة تبقى أقوى أسلحة الناقد إِقناعًا.
- ويقدم فرصة ممتازة لتطور نظرية أدبية قائمة على فهم طبيعة امتدادات الأدب خارج حدوده.

الإسهامات المصرية فى أدب الأطفال :

لا أحد ينكر أثر الأدب المصرى والفرعونى على الأدب العالمى للأطفال؛ فقد وجدت قصص الحيوان فى مصر القديمة، فقد عرف المصريون الكتابة منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، وتذكر دائرة المعارف البريطانية أن أول الكتب فى العالم كانت من صنع المصريين، كما كانت للكتب منزلة عظيمة عند المصريين القدماء؛ حيث كانوا يوصون أبناءهم بأن يحبوا الكتب كما يحبون أمهاتهم.

وفى مصر الفرعونية ظهر أول كتاب فى تاريخ البشرية، وكان هذا الكتاب يحمل مفاجأتين :

الأولى : أنه كان كتابًا للأطفال.

الثانية : أنه كان بالألوان (الأبيض، والأسود، والأحمر)

وهذا الكتاب كان مكتوبًا على ورق البردى، ووجد فى مدينة الأقصر عام ١٨٤٧م، ويتضمن ١٨ورقة، وترجمه إلى الإنجليزية مستر "جنMr.Gunn" مثلما وثق له سليم حسن، ومن هذه الأوراق قصص لـ : سنوحى، والملك خوفو، ونفرتيتى، وتوت عنخ آمون، وأخناتون، والبحار الغريق، والشقيقان، وأمنحتب، وكليوباترا.

وقد ترك المصريون القدماء كنوزًا أدبية ثمينة منقوشة على جدران معابدهم، وقبورهم، وقصورهم، ويذكر أن الجذور الأولى - لقصص الحيوان، وقصص الكرتون، وميكى ماوس، وتوم وجيرى- ترجع إلى أيام قدماء المصريين، والصور الملونة على الآثار المصرية القديمة تشهد بذلك. (عبدالتواب يوسف، ١٩٨٧م، ١٢٥)

كما أن عددًا من أشهر قصص الأطفال الآن؛ ترجع فى جوهر فكرتها إلى قصص مصرية

قديمة مثل : قصة السندباد البحرى عند مقارنتها بقصة البحار الغريق المصرية القديمة، وعلى بابا والأربعين حرامى التى تشبه قصة القائد تحوتى أحد قواد تحتمس الثالث.

ويقول مؤرخو أدب الأطفال أن أول قصة مكتوبة حصلت عليها البشرية حتى الآن هى تلك الحكايات المصرية المكتوبة على ورق البردى، والتى تعرف باسم "حكايات السحرة" وقد أرجع العلماء تاريخها إلى نحو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.

وكان لدى المصريين ثروة ضخمة من الحكايات المتنوعة، وما وصل إليه الباحثون من قصص عن طريق التنقيب قليل من كثير، ولقد كانت مصر القديمة الوحيدة التى سجلت حياة الطفولة وأدب الأطفال فى نقوش على جدران المعابد والقصور والقبور، هذه القصص التى تشبه فى خرافاتها وموضوعاتها قصص اليوم مثل قصة : جزيرة الثعبان.

وهناك شواهد على ثراء الحكايات الفرعونية، التى أثرت بشكل كبير فى الثقافات الأخرى، حتى وصل هذا التأثير إلى ثقافات العالم الحديث؛ فالتفت المبدعون إلى التراث الشعبى المصرى القديم، ينهلون منه، ويأخذون من أحداثه نواة لإبداعاتهم، وهناك مثلين واضحين على هذا الأثر، وهما حكايتا : "أنوبو وبيتيو" و "الصدق والكذب"

حكاية "أنوبو وبيتيو" :

وتسمى أيضا حكاية "أنوب وبتنو" وهذه القصة لا تزال مؤثرة بشدة فى العقلية الإبداعية المصرية وغير المصرية حتى الآن، ومازالت أحداثها تغنى- بطرق مختلفة- فى المواويل الشعبية فى مصر، وتتلخص أحداثها فى التالى : أنوبو وبيتيو أخوان ظلا يعيشان عيشة راضية سعيدة فى مزرعة لهما حتى هامت زوجة أنوبو بحب بيتيو، فردها عن نفسه، فانتقمت منه بأن وشت به إلى أخيه واتهمته بأنه أراد بها سوءًا، و جاءت الآلهة والتماسيح لتعين بيتيو على أنوبو، ولكن بيتيو ينفر من بنى البشر ويضيق بهم ذرعًا؛ فيعتزل العالم إلى الغابات كما فعل تيمن الأثينى فيما بعد، ويعلق قلبه فى أعلى زهرة فى شجرة لا يستطيع الوصول إليها أحد، وتشفق عليه الآلهة فى وحدته؛ فتخلق له زوجة رائعة الجمال يشغف النيل بحبها لفرط جمالها، ويختلس غديرة من شعرها، وتحمل مياه النهر هذه الغديرة فيعثر عليها الملك، فيسكره عطرها، ويأمر أتباعه بالبحث عن صاحبتها، ويعثر هؤلاء عليها و يأتون بهـا، ويتزوجهـا، وتدب فى قلبه الغيرة من بيتيو فيرسل رجاله ليقطعوا الشجرة التى علق عليها بيتيو قلبه فيقطعونها.

دونت هذه الحكاية-على الأرجح- بين عامى ١٢٥٠ و١٣٠٠ قبل الميلاد، وعرفت فى أوروبا عام ١٨٥٠م، لكنهـا- كعادة الحكايات الشعبية- عرفت شفاهة عن طريق الحكى قبل أن تعرف كتابة بعد اكتشاف وترجمة برديتها، ووصل تأثيرها إلى الأدب الغربى، وأيضا يمتد تأثيرها إلى الأدب العبرى القديم.

وتشير د.راندا رزق فى كتابها "فيدرا امرأة فى ملتقى الحضارات" إلى الجذور الفرعونية فى أسطورة "فيدرا" حيث تتحدث قصة الأخوين "أنوب وباتو" عن أخ أكبر طيب يربى أخاه

الصغير، لكن زوجة الأخ الكبير تغويه فيعرض عنها، ومن ثم تكيد له عند زوجها فيقتل الأخ أخاه.

حكاية الصدق والكذب :

يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد، واكتشفت عام١٩٣٠م مدونة على أوراق البردى، وتقول الحكاية : كان الصدق والكذب أخوين تنازعا فيما بينهما وكان سبب خلافهما أن الكذب ادعى أمام المحكمة وجود سلاح كبير الحجم، مثل الجبل وقبضته مثل الشجرة، ولم يرغب "الصدق" فى تصديق هذه الادعاءات؛ فذهبا إلى المحكمة للبت فى أمرهما، فأقسم الكذب على صحة أقواله، وحوكم الصدق ففقئت عيناه، وعاش ضريرًا، لكنه تزوج من امرأة تحبه فأنجبت صبيًا تميز بالذكاء والقوة وكان هدفه الانتقام لأبيه من عمه فأتى بثور جميل وقوى، وتركه يرعى فى مراعى عمه، فرأى الكذب الثور فحرض رعاته على سرقته، فحق للصبى مقاضاته وقضى له أن يختار أى ثور من ثيران عمه الكذب، لكن الصبى قال : ليس هناك مثل ثورى ضخامة؛ فهو حينما يقف عند بحر أمون يصل ذنبه إلى أعلى سيقان البردى، كما أن أحد قرنيه يصل إلى الجبل الغربى، والآخر يصل إلى الجبل الشرقى.

فرد الكذب : إن هذا الثور لم يخلق بعد، ومثل هذا الكلام لا يصدقه عقل، وحينئذ سأل الصبى عما إذا كان هناك سلاح كالذى وصفه الكذب، وفقئت عينا الصدق بسببه، فأعادت المحكمة النظر فى حكمها بحق الصدق وقررت تبرئته.

هذه الحكاية - المبنية على أسطورة "إيزيس وأوزوريس" الذى قتله أخوه ست وانتقم له ابنه حورس- أثرت كثيرًا فى الحكايات الشعبية التى تبنى على الصراع بين الخير والشر، وبين الصدق والكذب، وأصبحت شكلاً من أشكال الحكايات الوعظية، وقد أبدى الباحثون اهتمامًا كبيرًا بهذه الحكاية وتأثيرها العابر للتاريخ والجغرافيا، ونقل عن عالم الفلكلور "ديرلاين" قوله "قوبلت الحكاية عند اكتشافها بدهشة من الباحثين، ذلك أن موضوعها عرف خلال عدد كبير من الحكايات" وقال: "إن هذه الحكاية تسربت إلى الحكايات الهندية وحكايات ألف ليلة وليلة، كما أنها رويت فى جنوب أوروبا وجنوبها الشرقى، وأن حكاية "المتجولين" عند الأخوين جريم، تلك التى فقأ فيها الإسكافى الشرير عين الخياط الخَيِّر، هى بحق امتداد للحكاية المصرية، وقد انتشرت هذه الحكاية المصرية حتى وصلت إلى أقصى أنحاء الأرض، وصلت إلى الصين البعيدة، وهناك انصهرت فى بوتقة الشعب الصينى؛ فأضفى عليها من روحه وملامح شخصيته، وأصبحت حكاية من الأدب الشعبى الصينى، وانتقلت أيضًا للآداب الأوروبية، ويبدو أثرها بالتحديد فى حكاية "جان القاضى الفلاح" التشيكوسلوفاكية، لكن أصلها مصرى فرعونى، وكمثيلتها من الحكايات والموروثات الشعبية، كانت حكاية "الصدق والكذب" تُروى فى كثير من البلدان، وجابت أنحاء العالم قبل أن يتم اكتشاف برديتها، وذلك عن طريق الرواة الذين حفظوها

وتناقلوها جيلاً بعد جيل، ولم يكن يعرف أصلها حتى تم اكتشاف البردية وتحديد الأصل المصرى لهذه الحكاية.

أما الأدب المصور الذى بعث من جديد فى أيامنا هذه، ويعرف بأدب الحواس؛ فقد عرفه المصريون أيضًا فى مراحلهم التالية؛ فقد وجد على جدران المعابد والقصور والمقابر قصصًا مصورة للأطفال تمثل قطًا يمشى على خلفيتيه وهو يحمل عصاه على كتفه ويسوق الأوز، والأرنب وهو يحرس الماعز ويرعاها، والحيوانات وهى تلعب، والحمار وهو يعزف على آلة الهارب الفرعونية، وقد كان لهذه القصص أكبر الأثر فى الأدب العالمى المصور؛ فقد استلهم "والت ديزنى" فكرته وشخصياته فى أفلام الكرتون من زيارات قام بها للآثار المصرية، وكانت له الوحى والإلهام.

ومنذ تلك البدايات لاهتمام المصريين بتسجيل أدب الأطفال – هناك فترة استمرت قرونًا طويلة لم يهتم فيها شعب من الشعوب بهذه المهمة، حتى الأمم التى أسهمت بشكل كبير فى التراث القصصى العالمى، كالهنود والفرس والإغريق والعرب، حتى كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة اللذين لم يكتبا أصلاً للأطفال – لم يهتم أحد بهذا اللون حتى وصلنا إلى العصر الحديث الذى نهضت فيه أوربا.

ولا تتراجع مصر عن ريادتها لأدب الأطفال فى عصرها الحديث؛ ففى عهد محمد على وبداية القرن التاسع عشر أرسلت البعثات للخارج، واطلع إمام البعثة المصرية رفاعة الطهطاوى (١٨٠١م- ١٨٧٣م) على الثقافة الفرنسية، وعرف أسباب تقدم تلك البلاد التى اهتمت بالطفولة وعالمها، وعندما عاد إلى مصر ألف كتابه "المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين" عام١٨٧٠م، الذى يشكل لونًا من ألوان أدب الأطفال التربوى.

وبعد ذلك بقليل يبرز فى الساحة المصرية واحد من الرواد الأوائل الذين اهتموا بأدب الأطفال الشعرى، هو الشاعر محمد عثمان جلال(١٨٢٨م- ١٨٩٨م) الذى أسس لشعر الأطفال فى مصر، لقد كان محمد عثمان جلال رائدًا فى حياتنا الأدبية، وصاحب موهبة حقيقية أسست للأجيال التى لحقت به – خاصة فى مجال أدب الأطفال- وترك للتراث الشعرى العربى كتابه : العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ١٨٩٤م الذى تأثر فيه بقراءاته للافونتين، ولكنه أبرز فيه الروح المصرية، والشخصية المصرية، فلم يكن ناقلاً، وإنما ممصرًا ومبدعًا.

وفى نهاية القرن الثامن عشر جاءت دعوة الزعيم الوطنى مصطفى كامل(١٨٧٤م-١٩٠٨م) لبث الأدب التهذيبى والقومى فى نفوس ناشئة الأمة، وكانت دعوته أول دعوة عربية من مصر للاهتمام بأدب الأطفال، وحفز الشعراء والكتاب العرب للكتابة للأطفال، وتشجيعهم على ذلك بنشر إبداعاتهم وبعض أناشيد الطفولة فى مجلة "المدرسة" التى توقفت بعد صدور عددها التاسع.

وظهر فى هذه الفترة شاعر كبير من المهتمين بشعر الأطفال والكتابة لهم، هو الشاعر محمد

الهراوى(١٨٨٥-١٩٣٩م) والذى يعده البعض أمير شعر الطفولة فى العصر الحديث، ورائد مرحلة التأليف المستقل والتنوع الفنى، ومن أشهر ما كتب للأطفال : سمير الأطفال للبنين

(٣أجزاء) وسمير الأطفال للبنات (٣أجزاء) إلى جانب كتبه : الطفل الجديد، والسمير الصغير، وأغانى الأطفال، وعدد من التمثيليات والروايات.

ثم تأتى دعوة أمير الشعراء أحمد شوقى عام ١٨٩٨م للشعراء العرب للكتابة للأطفال ويتحول الهدف الأول لشعر الأطفال على يديه من محاربة ذوى النفوذ عن طريق الرمز إلى هدف جمالى فنى تذوقى فى المقام الأول، هذا الهدف الذى أشار إليه شوقى صراحة فى مقدمة الطبعة الأولى للشوقيات عام١٨٩٨م بقوله " وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وفقنى الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدنة، منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم، وهنا لايسعنى إلا الثناء على صديقى خليل مطران صاحب المنن على الأدب المؤلف بين أسلوب الإفرنج فى نظم الشعر، وبين نهج العرب، والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء وأن يساعدنا الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية" (الشوقيات، ١٨٩٨م، ط١)

وبعد ذلك تتواصل الجهود المصرية فى سبيل إيجاد مواضع لأقدام راسخة فى أدب الأطفال، فنجد كتابًا فى أدب الأطفال لإبراهيم العرب(١٩١١م) بعنوان أداب العرب، ومحمد حمدى بك ومستر جورج روب(١٩١٢م) حيث كان لهما الفضل فى إخراج أول كتاب من سلسلة كتب الأطفال المصورة بعنوان : القطيطات العزاز.

فى العام١٨٩٧م يبدأ فى مصر عهد جديد لعمالقة أدب الأطفال القصصى؛ بداية من الرائد العظيم كامل كيلانى، ومرورًا بأبناء جيله أمثال محمد سعيد العريان، ومحمد عطية الإبراشى وغيرهم، وسار فى هذا الركب الإبداعى الجيل التالى لكامل كيلانى، جيل تربع على عرش أدب الأطفال القصصى منذ خمسينات القرن العشرين وحتى الآن أمثال : أحمد نجيب، وعبدالتواب يوسف، ويعقوب الشارونى، وغيرهم.

ويشهد العقدان الأخيران من القرن العشرين ازدهارًا كبيرًا فى الاهتمام بأدب الأطفال شعرًا ونثرًا، وتطور هذا الاهتمام بدعوة الشاعر أحمد سويلم عام١٩٨٤م- من خلال كتابه أطفالنا فى عيون الشعراء- أصدقائه الشعراء لعمل ديوان الطفل العربى، ثم كثرت فى السنوات الأخيرة الأقلام التى تكتب للأطفال.

كامل كيلانى رائد أدب الأطفال القصصى :

ولد كامل كيلاني في ٢٠ أكتوبر١٨٩٧م، بأحد أحياء القاهرة – القلعة- بالقرب من جبل المقطم، نشأ فى فترة غلبت عليها الأساطير والأغانى، كان يقضى أغلب فترات يومه وحيدًا،

الأمر الذي أعطاه الفرصة للقراءة، وحفظ أكثر من ٢٠ ألف قصيدة لصفوة الشعراء العرب، كما حفظ القرآن الكريم بالكتاب.

التحق كيلاني بالتعليم الابتدائى والثانوى حتى حصوله علي شهادة البكالوريا، ثم التحق بالجامعة المصرية القديمة، حيث عزم علي دراسة الأدب العربى، والإنجليزى، والفرنسى فحصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الإنجليزية، وكان أثناء دراسته بالجامعة قد قرر فى نفس الوقت الالتحاق بمدرسة "دانتي" لدراسة الأدب الإيطالى.

فى عام ١٩٢٩م وجه اهتمامه إلى فن "أدب الأطفال" ودأب على تحقيق الفكرة التى آمن بها، وهى إنشاء مكتبة الأطفال، وكان يرى أن حوار قصص الأطفال يجب أن يكون بالفصحى، واستخدم مصادر قصصه من الأساطير والأدب العالمى والأدب الشعبى؛ فيحسب له جهوده فى تحقيق نشر الكثير من التراث العربى مثل : ديوان ابن الرومى، ورسالة الغفران، وابن زيدون، كما كان حريصًا على الجانب الأخلاقى فى كتابته للأطفال .

ويعد أول من خاطب الأطفال عبر الإذاعة، وأول مؤسس لمكتبة الأطفال فى مصر، حيث ألف ٢٥٠ قصة للأطفال منها : شهر زاد، جحا، ألف ليلة.

ترجمت قصصه إلي اللغات : الصينية، والروسية، والأسبانية، والإنجليزية، والفرنسية. ومن مترجماته للشباب : حى ابن يقظان، جليفر، روبنسون كروزو، شمشون الجبار.

ولأن ثقافته كانت واسعة للغاية ويجيد القراءة والترجمة من اللغتين الإنجليزية والفرنسية إضافة إلي تمكنه من العربية فقد قرر تحويل أشهر أعمال الأدب العالمى إلى قصص للأطفال؛ فاختار عددًا من قصص شكسبير، وقام بترجمتها وتبسيطها لتناسب الأطفال ومنها قصة الملك لير وتاجر البندقية والعاصفة، واختياره كان يتم على أساس أن القصة تحمل قيمة أخلاقية يمكن أن تفيد الطفل فى حياته بالإضافة إلى أنه يعرفه على الأدب العالمى.

وكان لدى كيلانى مشروع متكامل للأطفال؛ حيث قام بتأليف قصص لمن هم فى سن رياض الأطفال وحتي مرحلة الشباب، وقام بتأليف قصص مستوحاة من الأساطير الأفريقية والهندية، كما قام بترجمة أشهر قصص الأطفال ومنها روبنسون كروزو ومجموعة جليفر وكذلك مجموعة القصص العلمية والقصص الفكاهية.

نشر كيلانى فى حياته حوالى مائة وخمسين قصة، وقام أبناؤه بعد وفاته بنشر حوالى مائة قصة أخرى، أما عدد ما ألفه فيبلغ حوالى ألف قصة منها حوالى ٧٥٠ قصة لم تر النور حتى الآن بعضها مكتوب بالكامل وبعضها عبارة عن فكرة القصة والحبكة أو العقدة التى تبنى عليها وكان ينقصها الصياغة.

والحقيقة أن أدب كيلاني له شهرة عالمية حتي إن كتبه ترجمت إلي الإنجليزية والفرنسية، ومنها ما قام بترجمتها لهاتين اللغتين بنفسه، ولكن إلى جانب ذلك تمت ترجمتها للألمانية والإسبانية والإيطالية والروسية والعبرية وكذلك الصينية، وكثيرون كانوا يشبهونه بهانز أندرسن

رائد الكتابة للطفل فى أوروبا، توفى رائد أدب الطفل كامل كيلاني في ١٠ يناير ١٩٥٩، تاركًا تراثًا ضخمًا من الإصدارات فى الأدب العربى عامة وأدب الطفل خاصة.

وبعد ذلك تزايد الاهتمام بكتب الأطفال ومؤلفيها وناشريها؛ حيث بلغت دور النشر ما يزيد عن خمسين دارًا، تصدر أكثر من ثلاثمائة سلسلة، لخمسمائة كاتب أطفال، وفى العام١٩٤٦م أصدرت دار المعارف قرارًا بتشكيل لجنة للعناية بأدب الأطفال تتكون من كبار الكتاب، وبعد ذلك وفى نفس المجال تصدر الهيئة المصرية العامة للكتاب أول كتاب عربى عن أدب الأطفال هو "فن الكتابة للأطفال" لأحمد نجيب.

وتتوالى الجهود المصرية المخلصة فى هذا المجال؛ فتتحمس الدكتورة سهير القلماوى وتنشئ لجنة لثقافة الطفل ضمن لجان المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وتبادر بجهد شخصى فتكتب أروع كتابين فى أدب الأطفال هما : حكايات جدتى، وألف ليلة وليلة، وينشئ عبدالتواب يوسف جمعية "ثقافة الأطفال" التى أصبحت تجمعًا للمعنيين بأدب الأطفال.

ويتجه الاهتمام بأدب الأطفال فى مصر إلى مؤسسات التعليم العالى؛ فيبدأ تدريس مادة كتب الأطفال بكلية الآداب جامعة القاهرة فى العام ١٩٧٥م، وفى العام١٩٧٦م تصدر الهيئة العامة للاستعلامات دائرة معارف مصر للأطفال بعنوان مصر أم الدنيا.

وفى العام ١٩٨٠م أنشئ فى مصر المركز القومى لثقافة الطفل، وفى العام ١٩٨٨م افتتح مركز توثيق وبحوث أدب الأطفال التابع لدار الكتب والوثائق القومية، وفى العام٢٠٠٣م ولد صرح آخر هو معمل توثيق وبحوث أدب الأطفال التابع لجامعة حلوان، وتتوالى الاهتمامات بعد ذلك فتنشأ كليات لرياض الأطفال فى كل محافظة مصرية، وتجعل ضمن مقرراتها مادة أدب الأطفال.

الفصل الثالث

الأدب العربى المشرقى وأثره فى أدب الأطفال العالمى

إن القصص التى اعتبرها نقاد الغرب البدايات الشامِخة لأدبهم القصصى؛ متأثرة بقصص عربى سابق لها بمئات السنين؛ فـ "جحيم دانتى" مأخوذة من "رسالة الغفران"؛ لأبى العلاء المعرى التي سبقتها بأكثر من خمسمائة عام، وقد رجح الدارسون اطلاع دانتى عليها، وقصة "دون كيشوت" لمؤلفها "ميجيل سيرفانتس" الإسبانى، تكاد تكون تأثّرًا فنيًا بسيرة عنترة بن شداد الشعبية، التى كانت وما تزال معروفة فى أرجاء العالم العربى، بل إن "سيرفانتس" نفسه كانت لديه الشجاعة الكافية لأن يعترف فى مقدمة قصته بأنه أخذ فكرتها وسياق وقائعها مِن كاتب عربى، وهو ما يعنى إقرارًا بما كان واقعًا من سيادة قصص الفروسية فى ذلك الحين على يد العرب، أما قصة "روبنسون كروزو" التي كتبها ديفو الإنجليزى؛ فقد قرر النُّقاد الإنجليز أنفسهم أنه أخذها أخذ احتذاء من قصة "حى بن يقظان" التي كتبها الفيلسوف العربى ابن طفيل قبل ديفو

بمئات السنين، وثبت اطلاع "ديفو" عليها، ومن حضارة العراق القديمة(بابل وآشور) عرفت قصص : سميراميس، وحمورابى، ونبوخذ نصر(بختنصر)، وحدائق بابل المعلقة.

ومن اليمن صاحبة حضارة معين وسبأ وحمير ومأرب عرفت قصص : بلقيس، وسيف بن ذى يزن، وسد مأرب، وقد صانت كل من : القاهرة، وبغداد، ودمشق الحضارة اليونانية والرومانية ذخرًا للإنسانية. (محمود ذهنى، ٢٠١٢م، ١٢٩)

والحق أن الفن القصصى بصفة عامة - وفى أوروبا بصفة خاصة - يعتبَر عربى الأصل والنشأة؛ فقد أخذ الغربيون ومَن تابعهم مبادئه وأشكاله الأولى عن العرب، ثم حوروا فيها وأدخلوا عليها من التجديد والترتيب والتنسيق ما جعلها تبدو وكأنها شىء جديد يخدع السطحيين بجدته، ويبهرهم بتنوعه.

تأثير ألف ليلة وليلة فى الأدب الغربى : إن لألف ليلة وليلة تأثيراً بعيد المدى فى آداب الأمم والشعوب وفنونها العديدة، فقد أثرت فى آداب هذه الأمم وما تزال تؤثر حتى الآن، ويمكن القول: إن كتاب ألف ليلة وليلة ترجم إلى معظم لغات العالم، وتأثر به كبار رجال الفكر والأدب فى العالم، واستلهموا منه أجمل ما كتبوه من نصوص إبداعية؛ فقد أكد "فولتير" أهمية كتاب ألف ليلة وليلة قائلاً : لم أصبح قاصًا إلا بعد أن قرأت ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة، أما الناقد الفرنسى "ستندال" فقد أعجب به إعجابًا شديدًا وتمنى أن يصاب بفقدان الذاكرة حتى يعيد قراءة حكايات ألف ليلة وليلة، ويستمتع بها، كما استمتع بها فى أول قراءة لها، أما "أناتول فرانس" فقد أكد أنه تتلمذ على حكايات ألف ليلة وليلة قبل أن يكون أديبًا.

وتقول الناقدة الألمانية "أردموتة هللر" عن ألف ليلة وليلة : أسهمت حكايات ألف ليلة وليلة فى خلق الصور الرومانسية الخيالية عن الشرق، إذ حملته معها ونقلته إلى الغرب، وتسنى للغرب من خلال حكايات شهرزاد اكتشاف الشرق، ولا يوجد مؤلف(بفتح اللام) شرقى أثر تأثيرًا قويًا فى الأدب الأوروبى مثل تلك الحكايات الرائعة والجذابة، وبين ليلة وضحاها أصبح هذا الكتاب جزءًا لا يتجزأ من الأدب العالمى تمامًا مثل إلياذة هوميروس.

أما الباحث والناقد الإنكليزي "كولريدج" فيقول عن ألف ليلة وليلة : "إن قصص شهرزاد شبيهة بالأحلام، إذ إنها لا تبعدنا عن الواقع، ولكنها تعطينا صورة مغايرة له، تلك الصورة التى لا يدركها العقل". (محمود ذهنى، ٢٠١٢م، ١٣٢)

وأما الباحث والناقد "جون جو لمبير" فيقول : "إن شخصية شهرزاد أثرت تأثيرًا حاسمًا فى تاريخ المرأة الأوروبية، وجعلت القرن الثامن عشر أعظم القرون فى حياتها، وكان لهذا كله أثر كبير فى تكوين شخصية المرأة؛ لجمالها وثقتها بنفسها، وتصديها وحدها لشهريار الذى عجز كل الرجال عن أن يوقفوه، واستخدامها لسلاح الأنوثة والمعرفة معًا، لقد أثرت ألف ليلة وليلة فى جميع الأجناس الأدبية الأجنبية، وفى الفنون أيضاً، وقد كان تأثيرها واضحًا فى الكتابات القصصية التى ظهرت فى فرنسا وانجلترا وإيطاليا خلال القرن الثامن عشر، والتى ظهرت فى

أمريكا خلال القرن التاسع عشر، ومن النصوص الأجنبية التي تأثرت بهذه الحكايات : (فاثيك، لبكفورد١٧٨٦م)

و(لالا روخ، لتوم مور ١٨١٧م) وقصائد بيرون المطولة، ومنها(رحلة الفارس هارولد) ومجموعة قصائده الموسومة بـ (حكايات تركية). ونشر "توماس هوب" في عام ١٨١٩م رواية بعنوان :

(أنا ستازيس. مذكرات يونانى) وفيها استقى عوالم ألف ليلة وليلة السحرية والغرائبية، وتأثر الأديب والفيلسوف "مونتسكيو" فى كتابه : (الخطابات الفارسية ١٧٢١م)، بحكايات ألف ليلة وليلة فى تصويره للولائم، ولعادات الشرق، ولحريمه وعلاقاتهن، أما "فولتير" فقد كان من أكثر الأدباء الذين تأثروا بهذه الحكايات، ويظهر هذا التأثير واضحًا فى رواياته : (صادق، ١٧٤٧م) و(سميراميس، ١٧٤٨م) و(أميرة بابل، ١٧٦٨م) وقصة (العالم كيفما يسير، ١٧٤٧م)

وأما الفرنسي "تيوفيل جوتييه" فقد كان عاشقًا لمدينة القاهرة التى تعدّ من أهم مدن ألف ليلة وليلة، وقد وصف شوارعها وأسواقها المزدحمة، وحوانيتها التجارية العامرة بجميع أنواع البضائع، ومن خلال عشقه لهذه المدينة الجميلة التى قرأ عنها كثيرًا، وسمع أخبارها العجيبة من أصدقائه الرحالة، ثم زارها فيما بعد؛ كتب عنها فى رواياته المليئة بموتيفات ألف ليلة وليلة وصورها، وهذه الروايات هى : (وجبة فى صحراء مصر، ١٨٣١م)، (ليلة من ليالى كليوباترة،١٨٣٨م)،

(قدم المومياء ١٨٤٠م)، (رواية المومياء ١٨٥٨م).

أمّا قصة روبنسون كروزو ، ورحلات جليفر الإنكليزية فهما مأخوذتان، فى بنية أحداثها وخيالاتها من بنية حكايات السندباد البحرى ورحلاته السبع صوب جزر العالم البعيدة ومرافئه.

وقد أخبر المستشرق الصينى الأستاذ الدكتور شريف شى سى تونغ أن بعضًا من حكايات ألف ليلة وليلة يدرس فى المدارس الابتدائية والثانوية الصينية، بالإضافة إلى الجامعات، وبخاصة كليات الآداب والتاريخ والعلوم الإنسانية فى الصين.

ولم يقتصر تأثير ألف ليلة وليلة على القصة والرواية فحسب، بل تعداه إلى أنواع الفنون كافة، ففى المسرح نجد أن المسرحيتين الأوروبيتين : (علاء الدين) و (حلاق اشبيلية) تتناصان بشكل واضح وكبير مع حكايتين من حكايات ألف ليلة وليلة، وهما (مزين بغداد) و(علاء الدين والمصباح السحري) .

أما المسرحى الأسبانى "لوبى دي فيجا lepe de vega" فقد كان أهم المسرحيين الأسبان الذين تأثروا بحكايات ألف ليلة وليلة، وبخاصة حكاية (تودد الجارية مع الخليفة هارون الرشيد) وقد سميت إحدى مسرحياته المتأثرة بشكل مباشر بهذه الحكاية بـ(الجارية تيودور).

"لقد كانت حكايات ألف ليلة وليلة بالنسبة لفنانى العالم مكمنًا للسحر والتخيل الخصب وكانت شهرزاد بالنسبة لهم مثالاً للمرأة المتمردة على علاقات مقاصير الحريم ونظمها وقوانينها

وضوابطها، ومثالاً للمرأة الشهوانية والمثيرة التى تفضح وتعرى بنات جنسها، وتصف أدق خصوصيات المرأة فى علاقاتها مع عالم الرجال، وفى الوقت نفسه مثالاً للجمال الشرقى الأخاذ، والمعرفة والحكمة، والذكاء الذى استطاع أن يردع شهريار عن استمراره فى قتل بنات مدينته فى كل ليلة. هذا الجمال الذى بدا لهم أقرب إلى الأسطورة، فاستوحوا من شخصيتها أجمل اللوحات الفنية". (محمود ذهنى، ٢٠١٢م، ١٣٧)

كذلك يفوح عطر ألف ليلة وليلة من ديوان (الشرق والغرب) الذى كتبه "جوتة" الشاعر الألمانى الكبير، واستوحى الغرب قصص السندباد، وعلاء الدين، وعلى بابا، وعقلة الإصبع، وصارت عبارة "افتح يا سمسم" الشهيرة فى قصة على بابا عنوانًا لأشهر مسلسلات الأطفال"افتح يا سمسم" وهناك أكثر من ألف كتاب بالإنجليزية مأخوذة من ألف ليلة وليلة.

وقد تأثر الأدب العالمى بقصص الخوارق فى الأدب العربى والشرقى، والمارد الذى يخرج من قمقمه، ويقول للطفل : شبيك لبيك عبدك وبين إيديك، ونسج الغرب على منوالها : الرجل الأخضر، ورجل بستة ملايين دولار، والمرأة الخارقة، وغيرها.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التى تناولت ألف ليلة وليلة بالنقد والتحليل، فإن هذا العمل الأدبى المتميز يبقى غنيًا بموضوعاته الكثيرة التى لم تتطرق إليها الدراسات الأكاديمية والنقدية بعد.

وقد عرف العالم **ألف ليلة وليلة** بصبغتها العربية للمجتمع العربى فى بغداد والقاهرة، ووصلت إلى هذا العالم متناسية أصولها الهندية مثلها فى ذلك **كتاب كليلة ودمنة**، الذى أخذ الصبغة العربية بعد أن منحه عبدالله بن المقفع ثيابًا من البيان العربى المبين؛ متناسيًا انسلاخه عن ترجمة فارسية لأصله الهندى.

بهذه الصورة الأخيرة – العربية- وصل الكتابان إلى "لافونتين" الشاعر الفرنسى المعروف، مثلما وصلت إليه بالطبع حكايات الحكيم اليونانى(الإغريقى) إيسوب؛ الذى عانى من أسر العبودية، ونسج خياله حكايات عن عالم الحيوان.

"ولا يخفى لافونتين نفسه هذا التأثر بالأدب العربى والمشرقى إذ يقول فى مقدمة كتابه الذى نشره ١٦٧٨م : "هذا هو كتابى الثانى الذى يحوى قصصًا خرافية تدور على ألسنة الحيوانات الذى أقدمه للجمهور، ولا بد أن أعترف أن الجزء الأكبر من كتابى قد استلهمته من كتابات كليلة ودمنة التى كتبها بلباى الحكيم الهندى وبلباى هو اسم للفيلسوف الهندي بيديا" وعن هذا الكتاب اقتبس لافونتين ما يقارب عشرين حكاية إلا أنه لم يأخذ سوى مادة موضوعاته ثم تصرف فيها حسب مقتضيات فنه". (أحمد سويلم، ٢٠٠٨م، ٩)

ولا أحد ينكر الأثر العربى المتمثل فى **رسالة الغفران للمعرى، وحادثة الإسراء والمعراج فى القرآن الكريم، التى تأثر بهما دانتى فى الكوميديا الإلهية**، وملتن فى الفردوس المفقود، وكثير من هذه الآداب الغربية تبدو فيها رائحة المعرى والجاحظ وابن المقفع فى كليلة ودمنة.

وعرفت كثير من السير الشعبية فى الأدب العربى : كالسيرة الهلالية، وعلى الزيبق، وسيف بن ذى يزن، وحمزة العرب، والأميرة ذات الهمة، وعنترة، وحينما جاء الغزاة عرفوا بأمر هذه السير، وتأثروا بها خاصة سيرة الظاهر بيبرس؛ يبدو ذلك فى نماذج وتقاليد الفروسية المستوحاة من السير العربية كما فى قصص الملك أرثر، وروبن هود.

وكذلك أثرت **قصة حى بن يقظان١١٨٦م فى روبنسون كروزو** التى كتبت بعدها بستة قرون١٧٢٦م؛ حيث ترجمها "جيوآشويل" ونشرت فى لندن عام١٦٨٦م، ثم ترجمت للهولندية والأسبانية، والألمانية، والعبرية.

بعد روبنسون كروزو ظهرت شقيقاتها مثل : عائلة روبنسون السويسرية متأثرة بحى بن يقظان أيضًا، وكذلك رواية "جزيرة الدولفين الزرقاء" للكاتب "سكوت أودويل" حيث تظل بطلته الهندية "كارانا" هى حى بن يقظان.

لقد تأثر الأدب الغربى بالأدب العربى والأدب المشرقى، قبل أن يتأثر الأدب العربى بالأدب الغربى فى عالمنا المعاصر، بدءًا من رفاعة الطهطاوى، ومحمد عثمان جلال، وأحمد شوقى، ورائد أدب الأطفال القصصى ترجمة وتأليفًا كامل كيلانى. (عبدالتواب يوسف،١٩٨٧م، ١٣٠)

ومن نماذج تأثير الأدب العربى المشرقى فى الأدب الغربي : قصة ابن طفيل "حي بن يقظان" في "روبنسون كروزو" لدانييل ديفو :

ازدهرت الحضارة الإسلامية فى القرون الوسطى، فى زمن كانت فيه أوروبا تغرق فى الظلام، وقد شكلت إسبانية التى دعاها المسلمون بـ(الأندلس) مركز إشعاع حضارى فى تلك الفترة.

لذلك يمكن القول : إن معظم المبدعين الذين أسسوا لتجاوز عصر الظلام فى أوروبا كانوا على صلة ما بإسبانية، إما عن طريق السفر والعيش فيها مدة من الزمن، أو عن طريق الاطلاع على الكتب التى نشرت فيها مترجمة من العربية إلى اللاتينية، ثم انتشرت فى سائر أوروبا، لكن من الملاحظ أن معظم الغربيين ينكرون هذه الحقيقة، فها هى ذى "زيغريد هونكة" تقول : "تعودنا أن نقيس بمقياسين، فنحن الغربيين حين نقيم الحضارة الغربية ننظر بعين الاعتبار إلى منهجها وليس إلى مصدرها، وحين نذكر الحضارة الغربية نقتصر على ما ينبع من الحضارتين الإغريقية والرومانية ونهمل ماعدا ذلك من المصادر الأخرى، رغم الأثر الذى خلفته الحضارة العربية الإسلامية فى إسبانيا والذى شمل جميع المجالات الأدبية والعلمية، فقد كانت إحدى أكبر مراكز الإشعاع فى أوروبا" (زيغريد هونكه، ١٩٨٦م، ٤٨٣)

"وخير دليل على هذا القول : أن الإنكليزي دانييل ديفو (١٦٦١_ ١٧٣١م) الذى ألف "روبنسون كروزو" قد عاش فى إسبانيا مدة عامين، وكتب قصصًا صادقة الوصف والتحليل، تهتم بتصوير الحياة بدقة، لذلك نالت تلك القصص نجاحا كبيرًا، لأنها كانت تخلق سحرًا خلابًا، وقد نشر القسم الأول من قصته "روبنسون كروزو" عام ١٧١٩م، فلاقت شهرة واسعة جدًا، مما

شجعه على تتمة القصة.التى تبدو فيها آثار تأثره بابن طفيل وقصته "حى بن يقظان". (لوثى لوبيث بارلت، ١٩٩٩م، ٦٣)

أما ابن طفيل فقد ولد نحو ٥٠٠ للهجرة (١١٠٦م) فى غرناطة بالأندلس، وقرأ أقسام الحكمة على علماء غرناطة، وكان واسع العلم فى الفلك والرياضيات والطب والشعر، وتوفى عام ٥٧٨ هـ١١٨٥ م فى مدينة مراكش، ودفن فيها، وقد ترك عددًا من المؤلفات التى فقد معظمها، ولم يبق منها سوى رواية "حى بن يقظان" وبعض الأشعار المتفرقة.

(ينظر للمقارنة فى الفصل الخامس من هذه الدراسة)

الفصل الرابع

أثر أدب الأطفال الغربى فى أدب الأطفال العربى

منذ البدايات الأولى لاهتمام المصريين بتسجيل أدب الأطفال – هناك فترة استمرت قرونا طويلة لم يهتم فيها شعب من الشعوب بهذه المهمة، حتى الأمم التى أسهمت بشكل كبير فى التراث القصصى العالمى، كالهنود والفرس والإغريق والعرب، حتى كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة اللذين لم يكتبا أصلاً للأطفال – لم يهتم أحد بهذا اللون حتى وصلنا إلى العصر الحديث الذى نهضت فيه أوربا.

وأول ما كتب فى العصر الحديث من أدب للأطفال ظهر فى فرنسا أواخر القرن السابع عشر؛ فكانت بذلك أسبق الأمم الحديثة إلى كتابة هذا اللون من الأدب، وكانت هذه فترة استلهام أوربا الفنون والعلوم الشرقية والعربية خاصة، وظهر أثر الشرق فى الأدب الفرنسى خاصة؛ حيث ظهرت فى آدابهم آثار لألف ليلة وليلة التى وصلتهم عن طريق تركيا.

تأتى بعد ذلك - وفى النصف الثانى من القرن ١٨م- مرحلة "جان جاك روسو" وآراؤه التربوية فى كتابه " إميل" عام١٧٦٢م.

بين عامى١٧٤٧- ١٧٩١م ظهرت أول صحيفة للأطفال، اهتم فيها صاحبها- الذى لم يذكر اسمه- بنشر القصص المنقولة من بلاد أخرى، بعيدًا عن منهج روسو التربوى التوجيهى.

وفى إيطاليا كانوا يعرفون شيئًا عن ألف ليلة وليلة منذ القرن ١٣م، وحتى القرن ١٧م لم تكن الكتابة للأطفال مألوفة لدى الأوربيين حتى جاء "شارلز بيرو" فكتب مجموعة من القصص للأطفال بأسلوب سهل، وسماها "حكايات أمى الأوزة" وكان متخوفًا فى بادئ الأمر من وضع اسمه عليها؛ ولما ذاعت شهرتها، وزاد الإقبال عليها؛ ألف مجموعة ثانية أسماها "أقاصيص وحكايات الزمان الماضى" ونسبها لنفسه هذه المرة، وكانت هذه البدايات الحقيقية لأدب الأطفال فى أوربا؛ حيث سعت ألمانيا وإنجلترا إلى ترجمتها، وقادت أدباءها إلى هذا اللون من الأدب.

وفى إنجلترا بدأ الاهتمام بحاجة الطفل إلى الأدب الرومانسى الذى يضىء قلبه بالتسلية، ويوقظ عقله بالخيال، ويقترن بدء هذا الاهتمام باسم "جون نيو برى"١٧١٣- ١٧٦٧م صاحب

المكتبة الشهيرة باسمه، والنى خصصها لكتب الأطفال؛ حيث استعان بفريق كبير من كتاب القصة فى عصره؛ ليؤلفوا قصصًا للأطفال مثل : روبنسون كروزو، ورحلات جاليفر.

وأخرج "جون نيو برى" من هذه النوعية نحو٢٠٠ كتاب صغير تضم القصص والأساطير والخرافات والحكايات الشعبية وغيرها مما يسعد الأطفال؛ مما أكسب"بيرى" لقب الأب لأدب الأطفال فى اللغة الإنجليزية، وتلاه كتاب كثيرون.

وفى ألمانيا بدأت طليعة أدب الأطفال على يد "موزويس" بداية القرن التاسع عشر، ثم "يعقوب ووليم جريم" ١٨١٢م بكتابهما : حكايات الأطفال والبيوت.

فى الدانمارك ظهر رائد أدب الأطفال فى أوربا "هانز كريستيان أندرسون" ١٨١٥-١٨٧٥م الذى انتشلته موهبته فى الكتابة للأطفال من عالم الفقر- أبوه كان صانع أحذية- إلى عالم الشهرة والثراء، وتتميز أساطيره بفكرته الإنسانية التى تقدس الطبيعة والحياة.

فى روسيا ظهرت حكايات معبرة عن عاداتهم وتقاليدهم المحلية، وجذب مجال أدب الأطفال شاعرهم العظيم "بوكشين" والعبقرى "تولستوى" وكذلك دعا "مكسيم جوركى" إلى التخصص فى أدب الأطفال، تلك الدعوة التى استجاب لها الشاعر الكبير"ماياكوفسكى" وألف ديوانًا للأطفال.

أدب الأطفال فى الولايات المتحدة

من المعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية اكتشفت فى أواخر القرن الخامس عشر؛ لذا يمكن الزعم بأنها خالية من التقاليد الأدبية وليس لها تاريخ أدبى حافل كما هى الحال فى الوطن العربى أو فى أوروبا أو حتى فى إفريقية، بل إنها كانت تستمد دائمًا من الدول الأخرى التي سبقتها فى هذا المضمار، وقد انتعش أدب الأطفال فيها، فى السنوات الأخيرة، لأنه حصيلة آداب الأمم الأخرى، تضاف إليها الاستعانة بأحدث وسائل الاتصال. وقد برعت الولايات المتحدة الأمريكية فى استغلال رؤوس الأموال وتطوير الوسائل السمعية البصرية، والاستعانة بأحدث منجزات التربية وعلم النفس والفن الصناعى؛ لذا يجد المرء فيها تقدمًا جليًاً فى إنتاج الأشرطة المسموعة والمرئية التى تبث فى داخل البلاد نفسها، وفى خارجها، وإخراجًا متقنًا للمجموعات المصورة (الآلبومات) وللمسلسلات المرئية،واهتمامًا كبيرًا بالصورة (على حساب النص أحيانًا) إلى درجة جعلت الصورة والحركية تسموان على النص وتسيطران عليه، مما يثير الفرح والدهشة عند الصغار، ويبرز لذة الكشف، ويروى الخيال، وبسبب وفرة رؤوس الأموال قامت حركة اقتباس واسعة من اللغات الأخرى وتوظيف الرسامين والفنانين والكتاب والفنيين. أراد الأمريكيون بذلك التركيز على المكتوب والشفهى على نطاق واسع في مجال أدب الأطفال، وحاولوا الجمع بين نشاطهم فى هذا المجال والحوافز التربوية، فأوجدوا ما يعرف باسم «ساعة القصة» أو «درس القصة»، بتحريض من الكاتبة القصصية المعروفة "ساراكون بريانت Sara Cone Bryant."وقد أصبحت «ساعة القصة» هذه جزءًا من العلم الرسمى

فى المدارس والمكتبات الخاصة بالأطفال.

ولقد وصل أدب الأطفال فى أمريكا مداه رغم تأخرها فى ولوج هذا الميدان، وبلغ عدد الناشرين لكتب الأطفال مايزيد على عشرة آلاف، وبلغت نسبة توزيع بعض هذه الكتب خمسة ملايين نسخة. (على الحديدى، ١٩٩١م، ٥٠)

وفى أواخر القرن العشرين، وبداية القرن الحادى والعشرين؛ انطلق أدب الأطفال إلى عصره الذهبى فى جميع أنحاء العالم.

تأثير أدب الأطفال الغربى فى الأدب العربى :

لم يكن يدر العرب، ولم يكن يدر"لافونتين" أن أعظم شعراء العربية – صاحبة كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة- سوف يفتن بحكاياته، ويجعل هدفه الرئيسى أن يعيد صياغة تلك الحكايات شعرًا عربيًا؛ يمتع النشء العربى، ويبدأ به أولى صفحات أدب الأطفال فى العالم العربى.

وبذلك يتحول الهدف الأول لحكايات كليلة ودمنة من محاربة ذوى النفوذ عن طريق الرمز إلى هدف جمالى فنى تذوقى فى المقام الأول لدى كل من : لافونتين، ثم محمد عثمان جلال، ثم أمير الشعراء أحمد شوقى، هذا الهدف الذى أشار إليه شوقى صراحة فى مقدمة الطبعة الأولى للشوقيات عام١٨٩٨م بقوله "وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وفقنى الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال فى البلاد المتمدنة، منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدرعقولهم، وهنا لايسعنى إلا الثناء على صديقى خليل مطران صاحب المنن على الأدب المؤلف بين أسلوب الإفرنج فى نظم الشعر، وبين نهج العرب، والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء" (الشوقيات، ١٨٩٨م، ط١)

وقبل شوقى يمكن تتبع مراحل التأثر العربى بالآداب الغربية فيما يلى :

١- فى عهد محمد على بداية القرن التاسع عشر أرسلت البعثات للخارج، واطلع إمام البعثة المصرية رفاعة الطهطاوى(١٨٠١م- ١٨٧٣م) على الثقافة الفرنسية، وعرف أسباب تقدم تلك البلاد التى اهتمت بالطفولة وعالمها، وعندما عاد إلى مصر ألف كتابه "المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين" عام١٨٧٠م، الذى يشكل لونًا من ألوان أدب الأطفال التربوى.

٢- وبعد ذلك بقليل يبرز فى الساحة المصرية واحد من الرواد الأوائل الذين اهتموا بأدب الأطفال الشعرى، هو الشاعر محمد عثمان جلال(١٨٢٨م- ١٨٩٨م) الذى أسس لشعر الأطفال فى مصر، لقد كان محمد عثمان جلال رائدًا فى حياتنا الأدبية، وصاحب موهبة حقيقية أسست للأجيال التى لحقت به – خاصة فى مجال أدب الأطفال- وترك للتراث الشعرى العربى كتابه : العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ١٨٩٤م الذى تأثر فيه بقراءاته للافونتين، ولكنه أبرز فيه الروح المصرية، والشخصية المصرية، فلم يكن ناقلاً، وإنما ممصرًا ومبدعًا.

٣- ثم تأتى دعوة أمير الشعراء أحمد شوقى عام ١٨٩٨م للشعراء العرب للكتابة للأطفال ويتحول

الهدف الأول لشعر الأطفال على يديه من محاربة ذوى النفوذ عن طريق الرمز إلى هدف جمالى فنى تذوقى فى المقام الأول، هذا الهدف الذى أشار إليه شوقى صراحة فى مقدمة الطبعة الأولى للشوقيات عام١٨٩٨م بقوله " وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وفقنى الله لأجعل لأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدنة، منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم، وهنا لايسعنى إلا الثناء على صديقى خليل مطران صاحب المنن على الأدب المؤلف بين **أسلوب الإفرنج فى نظم الشعر**، ويعترف صراحة بتأثره **بلافونتين الشاعر الفرنسى العظيم.**

٤- فى العام١٨٩٧م يبدأ فى مصر عهد جديد لعمالقة أدب الأطفال القصصى؛ بداية من الرائد العظيم كامل كيلانى، ومرورًا بأبناء جيله أمثال محمد سعيد العريان، ومحمد عطية الإبراشى وغيرهم، حيث عزم كيلانى علي دراسة الأدب العربي، والإنجليزي، والفرنسي فحصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الإنجليزية، وكان أثناء دراسته بالجامعة قد قرر في نفس الوقت الالتحاق بمدرسة "دانتي" لدراسة الأدب الإيطالى، واطلع على الأدب الإنجليزى، والفرنسى، والإيطالى، وتأثر بها جميعًا، وأضاف الكثير من إبداعه الخاص.

الفصل الخامس
دراسة مقارنة

فى هذا الفصل يقدم الباحث نموذجين أحدهما مصرى محلى، والآخر عالمى؛ لتعرف علاقة التأثير والتأثر بين ألوان أدب الطفل المختلفة، واتجاه تلك العلاقة، ودور التتبع التاريخى فى تحديد نوع التأثير المتبادل بين الآداب المختلفة، مع ضرورة الوعى بأن تناول العلاقة بين النصوص المختلفة فى أطرها وحدودها الجغرافية هو ما يطلق عليه مصطلح المقارنة، وأما تناول العلاقة بين نصوص تنتمى لبيئة جغرافية واحدة فيسمى موازنة؛ ولذلك يمكن أن يطلق على دراسة العلاقة بين شوقى وعثمان جلال بأنها موازنة على الرغم من اختلاف الحقبة التاريخية بين الشاعرين، اللذين تأثرا بمؤثرات واحدة عربيًا وعالميًا.

أولاً- بين شوقى ومحمد عثمان جلال :

يعلن شوقى صراحة تأثره بـ "لافونتين" ولا يذكر شيئًا عن تراثه الشرقى، أو الإسلامى، أو العربى، أو المصرى؛ فشوقى هو أحد أعمدة مدرسة الإحياء والبعث فى الشعر العربى بعد البارودى وأحمد محرم، وهو الموهوب، والقارئ للتراث، فكيف تجاهل كل ذلك؟

وكيف تجاهل الجهود العربية- كتبًا وشعراء- فى مجال أدب الأطفال؟

* فقد تجاهل من التراث العربى "كليلة ودمنة" الذى قرأه أستاذه فى هذا المسلك "لافونتين" فليس معقولاً أن يذهب شاعر بحجم شوقى ومكانته إلى "لافونتين" قبل كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة،

وهما من أصول تراثه الذى يجرى فى عروقه، وهو واحد من رواد مدرسة الإحياء والبعث فى الشعر العربى عامة.

* كما أن شوقى تجاهل واحدًا من أشهر شعراء القرن التاسع عشر فى مصر، وهو الشاعر محمد عثمان جلال؛ الذى سبق شوقى إلى قراءة "لافونتين" وتعريبه فى "العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ" وهو كتاب حوى مائتى قصة وحكاية، رويت على لسان الحيوان.

* لماذا تجاهل شوقى سبق محمد عثمان جلال إلى ترجمة "فابيولات لافونتين" ولماذا لم يشر إلى تأثره بكليلة ودمنة، أو حتى قراءته له، وقد أشار لافونتين نفسه إلى تأثره به؟

يجيب على هذا السؤال الدكتور أنس داود بإجابة قد لا تقنع الباحث المنصف، فيقول : ليس من الضرورى أن يقرأ كل شاعر عربى- فى بواكير حياته- جميع آثار التراث العربى.

* ونرد فنقول : إن هذا الأمر لا يعقل مع شوقى، وأنه ليس من المعقول ألا يكون– حتى إصدار ديوانه بما فيه من شعر الأطفال– قد اطلع على كليلة ودمنة أو ألف ليلة وليلة، أو اطلع عليهما اطلاعًا عابرًا؛ لم يثر حساسيته الشعرية، كيف يعقل ذلك؟ ولماذا استثارت خرافات لافونتين حساسيته، وهى المستلهمة من التراث العربى والشرقى؟ أم أن زامر الحى لا يطرب؟

* صحيح أن "لافونتين" بلغ بهذا اللون الأدبى– أدب الأطفال- أقصى ما قدر له من كمال فنى، ولكن ذلك بسبب ما مر به من خبرة واطلاع على تراث عريق من أدب الملاحم والمسرحيات، إلى جانب أن بدايات أى فن تتسم غالبًا بالنقص، ويعوذها النضوج؛ مما يجعل تفوق اللاحق على السابق أمرًا متوقعًا؛ لأنه استفاد منه وأضاف.

من هنا جاء تفوق "لافونتين" فى تصويره الفنى، ورسم شخصياته وتطويرها بحسب الحدث، فى شكل درامى، وتشكيل فنى بديع.

* غلبت على محمد عثمان جلال الروح المصرية ببساطتها؛ "ولذلك أسهمت العامية جنبًا إلى جنب مع الفصحى فى التعبير عن هذه الروح؛ ولذلك عندما ترجم عثمان جلال "لافونتين" كانت ترجمته حرة، لم تتقيد بالأصل؛ يمصر فيها، أو يجعلها تجرى فى بلد عربى، أو يضفى عليها طابعًا دينيًا يقتبسه من القرآن الكريم والحديث الشريف؛ وكان من الطبيعى أن يتخطى شوقى عثمان جلال إلى "لافونتين" مباشرة؛ لتلتقى قدرتان على نفس الدرجة من الكفاءة والإبداع". (أنس داود،١٩٩٣م، ٢٢)

* لقد كان محمد عثمان جلال رائدًا فيما ترجم وألف من شعر للأطفال، وصاحب موهبة حقيقية أسست للأجيال التى لحقت به – خاصة فى مجال أدب الأطفال- حتى لو لم يذكره شوقى، وحتى لو سبح واضعوا المناهج التعليمية مع التيار، ولاذوا مسرعين إلى شعر شوقى لشهرته، ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث فى روائع محمد عثمان جلال؛ التى لا تقل أهمية وروعة عما أبدعه أمير الشعراء شوقى.

*"ربما يكون السبب فى تجاهل شوقى لتراثه العربى أنه أراد أن يربط عبقريته بعبقرية كبار

المبدعين فى العالم الغربى؛ فما زال هذا النزوع مستشريًا عند طائفة من أدباء العربية على مدار عصورنا الأدبية، إلى جانب ما فى حكايات "لافونتين" من فتنة لقرائها بسبب هذا الإبداع الفنى الرائع فى تشكيله الجمالى" (أنس داود، ١٩٩٣م، ٣٥)

*فإذا عدنا إلى محمد عثمان جلال نجد أنه أراد أن يقرب، ويمصر حكايات "لافونتين" ويدخل الروح الشعبية عليها؛ لكن الأيام ضنت على أعماله بالشهرة التى منحتها لحكايات شوقى، صاحب الحظ والحظوة والموهبة فى تاريخ الشعر العربى.

*على أن الباحث لا يجد مبررًا لكل من انحاز إلى ريادة شوقى لشعر الأطفال مثل : الأستاذ عبدالتواب يوسف، ود. محمد الحديدى، ود.أنس داود، وربما يلتمس العذر للشاعر أحمد سويلم فى غضبه إزاء تجاهل جهود محمد عثمان جلال وأسبقيته فى ولوج عالم أدب الأطفال، وتصدير شوقى لريادة شعر الأطفال، ولكى تبدو الموازنة أقرب إلى الإنصاف يمكن عرض نصين للشاعرين، وهما فى موضوع واحد، ليتبين للقارئ كيف تناول كل منهما هذا الموضوع شكلاً ومضمونًا، وكذلك السمات الفنية والإيقاعية لكل نص :

ثانيًا- مقارنة بين حى بن يقظان وروبنسون كروزو :

١- حى بن يقظان :

هناك روايتان لنشأة حى بن يقظان نستعرض إحداهما، وهى الأقرب إلى التصديق :

" كان هناك ملك عظيم منع أخته من الزواج، لأنه لم يجد من الرجال من هو كفؤ لها، لذلك تزوجت سرًا من رجل يدعى "يقظان" فأنجبت طفلا أسمته حى ووضعته فى تابوت، وقذفته فى اليم قائلة: "اللهم إنك خلقت هذا الطفل ولم يكن شيئا مذكورا، ورزقته فى ظلمات الأحشاء، وتكفلت به حتى تم واستوى، وأنا قد سلمته إلى لطفك، ورجوت له فضلك، خوفًا من هذا الملك الغشوم الجبار العنيد، فكن له، ولا تسلوه، يا أرحم الراحمين"

ملاحظات حول "حى بن يقظان" :

نجد فى هذه الرواية لنشأة حى ملامح واقعية، فخوف الأم على وليدها من الموت قد يدفعها إلى قذفه فى البحر، فتسلمه إلى مصير مجهول خوفًا عليه من موت محقق، كما نجد فيها التأثر الواضح بقصة موسى عليه السلام حينما قذفت به أمه فى اليم خوفًا عليه من أن يقتله فرعون، وأوصت به أخته، "فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون" (سورة القصص:١١)

تعد قصة "حى بن يقظان من أهم القصص التى ظهرت فى العصور الوسطى، فى نظر كثير من النقاد، فهى رائدة فى فن القص، إلى جانب ألف ليلة وليلة .

المؤثرات الإسلامية :

يلاحظ تأثر ابن طفيل بالحدث القرآنى، حين حدثنا عن خوف أم (حى)، فى الرواية الواقعية

لنشأته من الملك فتقذف به فى اليم، بعد أن تضعه فى تابوت، وهذا ما نجده فى سورة القصص "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين" (سورة القصص : ٧)

وبما أن قصة (حى بن يقظان) قصة رائدة فى العصور الوسطى لذلك من البديهى أن تؤثر فى تلك القصص اللاحقة التى ظهرت فى أوروبا، كما أثرت قصص ألف ليلة وليلة، ومن نماذج هذا التأثر ما نجده فى قصة "روبنسون كروزو" لدانييل ديفو.

٢- روبنسون كروزو :

يبدو روبنسون كروزو شابًا فى العشرين من عمره، أحلامه أحلام الشباب فى السفر والمغامرة، يستأذن والديه فى السفر عبر البحار، ليحقق أحلامه، لكن والديه يرفضان الموافقة على هذه الفكرة حرصًا على حياته، فيعصى أوامرهما، ليحقق رغبته فى المغامرة والسفر، لذلك نجد والده غاضبًا عليه، ويدعو الله أن يضع فى طريق ابنه المتاعب.

وفعلا حين يسافر روبنسون يصادف أهوالاً كثيرة، كان آخرها تحطم السفينة، وغرق جميع ركابها، ماعدا روبنسون، وبعد أن يجتاز أهوالاً كثيرة يجد نفسه فى جزيرة نائية، بعد فترة من الزمن يلتقى روبنسون بإنسان أسير، استطاع أن يهرب من أكلة لحوم البشر، فيسميه (جمعة) ويتخذه مساعدًا له فى عمله.

عاش روبنسون فى الجزيرة مدة ثمان وعشرين سنة، إلى أن أتت مصادفة سفينة، يرحل على متنها إلى بلده، بعد أن يخوض صراعًا مع رجال ثائرين على ربانها، وهكذا لاحقته المتاعب حتى آخر مراحل سفره.

المقارنة بين "حى بن يقظان" و "روبنسون كروزو" :

١- توفي مؤلف " روبنسون كروزو" دانييل ديفو ١٧٣١م، وسنة وفاة ابن طفيل (١١٨٥م) إذن مؤلف "حي بن يقظان" قد عاش قبل ديفو بحوالى خمسمائة سنة.

٢- كلا الكاتبين قد عاش فى إسبانيا فترة من حياته، لذلك كان تأثر ديفو بابن طفيل أمرًا طبيعيًا.

٣- الفضاء المكانى لكلا الروايتين به تشابه كبير، وكأنه فضاء واحد تقريبًا(جزيرة نائية)

٤- تركيز القصتين على شخصية رئيسية واحدة، تعيش ظروفًا متشابهة (العزلة، البدائية)

٥- كذلك تبدو الشخصية الثانوية، فى كلا القصتين، شخصية طارئة- آسال، جمعة- تأتى إلى الجزيرة بعد استقرار الشخصية الرئيسية.

٦- كلا القصتين فيهما الغاية التعليمية؛ فابن طفيل يريد أن يدلل على وجود الله باستخدام العقل والحدس، لذلك جعل من (حى) إنسانًا بدائيًا، يصل إلى الإيمان عن طريق استخدام العقل أولا ثم الحدس بالقلب، أما دانييل ديفو : فإنه يتوجه إلى الشباب- الذي يعشق المغامرة والسفر- بالنصيحة، طالبًا إليهم النظر إلى ما آل إليه حال روبنسون حين لم يستمع إلى رغبة والديه فى عدم السفر.

٧- يلاحظ وجود مؤثر إسلامى آخر فى قصة "روبنسون كروزو" وهو ألف ليلة وليلة، إذ لابد أن ديفو قد اطلع على ترجمة ألف ليلة وليلة التى ظهرت بين عامى (١٧١٤_ ١٧١٧) فقد توفى ديفو (١٧٣١)

٨- يلاحظ المرء أن معاناة روبنسون تشبه معاناة السندباد البحرى، خاصة فى بداية الرحلة البحرية، حيث تحطمت السفينة وبقى حيًا دون سائر الركاب، فعاش فى جزيرة نائية وحيدًا، وبذلك لم يكتف دانييل ديفو بالتأثر بقصة "حى بن يقظان" وإنما تعددت مجالات تأثره، ليتجاوز ذلك التأثر إلى الإبداع، الذى ينطلق من خصوصيته التى تنبع من معاناته الذاتية وخصائص أمته.

محمد عثمان جلال : الثعلب والعنب ١٨٢٨م– ١٨٩٨م	أحمد شوقى : الثعلب والديك ١٨٩٨ – ١٩٣٢م
حكاية عن ثعلب قد مر تحت العنب وشاهد العنقود فى لون كلون الذهب وغيره فى جنبه أسود مثل الرطب والجوع قد أودى به بعد أذان المغرب فهم يبغى أكلة منه ولو بالتعب عالج ما أمكنه يطلع فوق الخشب فراح مثلما أتى وجوفه فى لهب وقال هذا حصرم رأيته فى حلب قال له القطف انطلق يا ثعلب بن ثعلب طول لسان فى الفضا وقصر فى الذنب	برز الثعلب يومًا فى ثياب الواعظينا ومشى فى الأرض يهدى ويسب الماكرينا ويقول الحمد لله إله العالمينا يا عباد الله توبوا فهو كهف التائبينا وازهدوا فى الطير إن العيش عيش الزاهدينا واطلبوا الديك يؤذن لصلاة الصبح فينا فأتى الديك رسول من إمام الناسكينا عرض الأمر عليه وهو يرجو أن يلينا فأجاب الديك عذرًا يا أضل المهتدينا بلغ الثعلب عنى عن جدودى الصالحينا عن ذوى التيجان ممن دخل البطن اللعينا أنهم قالوا وخير القول قول العارفينا مخطئ من ظن يومًا أن للثعلب دينا

مراجع الدراسة

١- ابن طفيل : "حى بن يقظان" إعداد د. سمير سرحان، و د. محمد عناني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ، ١٩٩٩م.

٢- أنس داود : أدب الأطفال. فى البدء كانت الأنشودة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٣م.

٣- أحمد زلط : أدب الأطفال بين أحمد شوقى ومحمد عثمان جلال، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

٤- ـــــــــــــــــ : قضايا واتجاهات الأدب المقارن، القاهرة، مكتبة هبة النيل العربية، ٢٠٠٩م.

٥- أحمد سويلم : أطفالنا فى عيون الشعراء، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ، ١٩٨٤م.

٦- ـــــــــــــــــ : هؤلاء الشعراء كتبوا للأطفال، حصاد الموسم الثقافى لمركز توثيق وبحوث أدب الأطفال، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م.

٧- أحمد فضل شبلول : معجم شعراء الطفولة، القاهرة، دار المعراج الدولية، ١٩٩٨م.

٨-- ـــــــــــــــــ : أدب الأطفال فى الوطن العربى. قضايا وآراء، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ١٩٩٨م.

٩- زيغريد هونكه : "شمس العرب تسطع على الغرب" بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٨، ١٩٨٦م.

١٠- عايدة عبدالعزيز : أدب الأطفال فى فرنسا، اتجاهات عالمية فى كتب الأطفال، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، مركز توثيق وبحوث أدب الأطفال، القاهرة، عام٢٠٠٤م.

١١- عبدالتواب يوسف : كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر، القاهرة، دار الكتاب المصرى اللبنانى، ١٩٨٥م.

١٢- ـــــــــــــــــ : تأثير الأدب العربى على أدب الأطفال العالمى، الندوة الدولية لكتاب الطفل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

١٣- ـــــــــــــــــ : المختار من ديوان شوقى للأطفال، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مشروع القراءة للجميع، ٢٠٠٠م.

١٤- على الحديـدى : فى أدب الأطفال، ط٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة١٩٩١م

١٥- لوثى لوبيث بارالت : " أثر الثقافة العربية فى الأدب الإسبانى" كتاب الرياض، ع٥٤ يونيو، ١٩٩٩، ص ٦٣ بتصرف.

١٦- محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

١٧- محمود ذهنى : تذوق الأدب طرقه ووسائله، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٢م.